KEMENTERIAN AGAMA
PERPUSTAKAAN
SURABAYA
FAIN SUNAN AMPEL

الباب الرابع

مصادر مدرسة البصرة في دراسة النحو العربي وأنواع مناهجها

أ- مصادر مدرسة البصرة في دراسة النحو

ولاشك، أن مدرسة البصرة النحوية منشأ النحو العربي حيث وضعت القواعد النحوية فيها ثم تنمو شيئا فشيئا وتطور حينا بعد حين من طور إلى طور على أيدي رجالها. وأما بالنسبة للمصادر الدراسية التي يؤخذ عنها ويقاس عليها عندها في استنباط القواعد النحوية، فكانت مدرسة البصرة اعتمدت على ثلاثة مصادر: القرآن والحديث المروي بلفظ الرسول والكلام الموثوق بصحته والموثوق بعربية قائله. ولكن المدرسة البصرية كانت منتقية حينما أخذت مصادر دراستهم في استنباط القواعد النحوية.

ويتكلم الباحث هنا المصادر التي احتج بها رواد مدرسة البصرة النحوية بالترتيب، وهي ما ذكرت أدناه:-

1- القرآن الكريم

وقفت مدرسة البصرة في استنباط القواعد النحوية من القرآن الكريم موقف المدافع عما يرد في هذا الكتاب العظيم. وقاس البصريون على آياته ما أجازوه من قواعد وأجازوا ما جاء في قراءاته المتواترة. وأخرجت مدرسة البصرة بعض القراءات الشاذة عن أقيستهم، سواء

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كانت تلك الأقيسة بالتفسير والتقدير يتطلبه المعنى ويوحي به أوبِعدِّها واردة على لغات العرب التي لم يبن البصروين عليها أقيستهم لضعفها وقلتها.[1]

وإن القرآن هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به وكان على المرتبة الأولى في الاحتاج به في استنباط قواعد اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة؛ لأن جميع قراءاته واصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لاتضاهيها حجة. وكذلك، الطرق المختلفة في الأداء إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء التابعين، حيث لاشك أن هؤلاء جميعا ممن احتج بكلامهم.[2] ولذلك، وجدنا بعض أئمة النحاة من أئمة القراء في عصره. وفي القرآن مفردات واستعمالات كانت أصح مصدر، وكانت ألفاظه لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه.[3]

وتشترط لصحة القراءة المحتج بها ثلاثة شروط:- (1) صحة السند بها إلى رسول الله ﷺ؛ (2) وموافقتها رسم المصحف المجمع عليه؛ (3) وموافقتها وجها من الوجوه العربية.[4] ولكن كان الإمام الخليل ابن أحمد الفراهيدي احتج في استنباط الأحكام النحوية في بعض حين بالقراءة الشاذة.

---

[1] الحديثي، المدارس النحوية، 77.

[2] سسعيد الأفغاني، في أصول النحو، (د.م.: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994)، 28.

[3] الراغب الأصفهاني، في ضحى الإسلام، الجزء الثاني، 271.

[4] نفسه، 29—30.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

2- الحديث الشريف المحتج به

ويلي الحديثُ النبوي الشريف القرآنَ الكريم في كونه مصدرا في دراسة مدرسة البصرة. ومعناه لغة: نقيض القديم، والجديد من الأشياء، والخبر. وترادف الحديث الخبر. ويأتي الحديث على قليل الخبر وكثيره؛ لأنه يحدث شيئا فشيئا.[5] واصطلاحا: أقوال النبي ﷺ وأقوال الصحابة رضي الله عنهم التي تروي أفعاله وأحواله أوما وقع في زمنه. ويحتج بأقوال الصحابة في إثبات قاعدة نحوية أو صرفية لترافقهم للرسول ﷺ وثقتهم بصحة صدورها عنهم.

ويتقدم الحديث على سائر كلام العرب من نثر وشعر في الاحتجاج في استنباط قواعد النحو؛ لأن النبي ﷺ أفصح العرب قاطبة كما وصف النبي ﷺ عن نفسه: ﴿أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر﴾.[6] وقال عليه السلام في أسلوب أخر: ﴿أنا سيد ولد آدم و لا فخر، و أنا أفصح العرب و لا فخر﴾.[7] ولكن الحديث الذي احتج به في استنباط قواعد النحو— عند مدرسة البصرة-- إذا ثبت أنه لفظ النبي ﷺ نفسه، وليس لفظ

---

[5] محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، (رياض: أضواء السلف، الطبعة الثانية، 1997)، 50.

[6] نقلت هذا الحديث عن أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام الجزء الثاني ص. 364. ولم يذكر راويه. وهناك فرق في بعض النص بين أحمد أمين وأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم حيث كتب ﴿...واسترضعت في بني سعد بن بكر﴾ ولم يكتب ﴿...ونشأت في بني سعد بن بكر﴾ كما كتب أحمد أمين،ومع الأسف لم يذكر الحراني راويه أيضا. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، (بيروت: دار عالم الكتب، الطبعة السابعة، 1999)، الجزء الحادي عشر، 32.

[7] رواه أحمد في مسنده، و الترمذي في سننه و قال عنه حديث حسن صحيح، و ابن ماجة في سننه.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

راويه أي الرواية بالمعنى. ولذلك، لاتأخذ مدرسة البصرة الحديث المروي بالمعنى مصدرا في دراسة النحو إلا قليلا؛ لأنه ليس لسان الرسول ﷺ بل لسان راويه، ولاسيما إذا كان الراوي غير عربي.

وأما بالنسبة لطريقة رواية الأحاديث نفسها، فوجدنا فيما يروي من الأحاديث فريقين: (1) فريقا غلب على ظنه أنها لفظ النبي ﷺ فأجاز الاحتجاج بها، (2) وفريقا غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا بلفظ النبي ﷺ، وإذا لايجاز الاحتجاج بها.[8]

وعلة نهي الاحتجاج بها في استنباط القواعد النحوية أنها وقع اللحن كثيرا فيما روي من الأحاديث المروية بالمعنى؛ لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولايعلم بصناعة النحو، فلا يستطيعون التعبير عن معنى الحديث بعبارات يصح تركيبها وتأتي على أسلوب النبي ﷺ بل لا يعلمون أنهم وقعوا اللحن في كلامهم ووقع في روايتهم غير الفصيح من لسان العرب.[9]

انطلاقا من هذه المشكلة حول رواية الحديث، قد ثبّت سيبويه فكرة عدم الاستشهاد بالحديث النبوي، ولم يأخذ الحديث استشهادا في استنباط القواعد النحوية إلا قليلا.

---

[8] الأفغاني، في أصول النحو، 47.

[9] الحديثي، مدارس النحوية، 77. وانظر أيضا: الأفغاني، في أصول النحو، 48.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

3- كلام العرب المحتج به

والمصدر الآخر الذي استشهد به رواد مدرسة البصرة السماع عن كلام العرب الذين ينطقون بسليقتهم محافظين على فصاحة عربيتهم وسلامتهم من اللحن، أو بعبارة أخرى الاستشهاد بكلام العرب الموثوق بصحة الكلام المأخوذ والموثوق بعربية قائله، سواء كان هؤلاء العرب من الشعراء والخطباء والفصحاء. وبالإضافة إلى ذلك، لم يأخذ البصريون الكلام إلا عن سكان البوادي الذين لم تتصل بالثقافة والحضارة الأجنبية، بل يتحرزون عنها إذا لمحوا عليهم ضعف اعتراهم؛ لأنهم مقطوعين بعراقتهم في العروبة وصونهم فطرهم من تسرب الوهن إليها من رطانة الحضارة. فيختبر البصريون سكان البوادي أحيانا قبل التقبل لما يروون عنهم.[10]

وخرج رواد مدرسة البصرة إلى بوادي نجد وتهامة والحجاز وما جاور البصرة من بوادي الجزيرة العربية التي كانت مقرا للأعراب الفصحاء. وخرجوا أيضا إلى المربد للسماع ممن يفدون في المراسم الأدبية من الأعراب والشعراء والخطباء والفصحاء.[11]

ومهما يكن من أخذهم كلام العرب في استنباط القواعد النحوية عن سكان البوادي وزوار سوق المربد، ولكنهم قلما احتجوا بكلام العرب إلا بالشعر بيد أن اللغويين استشهدوا بالنثر والشعر على السواء.

---

[10] محمد الطنحاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، د.س.)، 127.

[11] الحديثي، المدارس النحوية، 75.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ومن هؤلاء النحاة البصريين الذين بذلوا جهودهم الجبارة في السماع عن العرب عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء والخليل ابن أحمد الفراهيدي، ثم دونوا ما سمعوا عنهم أوحفظوه.

ب- مناهج جمع المواد عند مدرسة البصرة

وذكر الباحث فوقه، أن المصادر الدراسية في استنباط القواعد النحوية عند مدرسة البصرة ثلاثة، وهي: القرآن الكريم والحديث المروي بلفظ النبي وكلام العرب الموثوق بصحته وعربية قائله. وبعد نعرف تلك الثلاثة، فلا بد علينا أن نعرف مناهج جمع المواد النحوية عند البصريين التي تتكون من ثلاثة عناصر: الأساس المكاني والزماني والكمي. وهذا مهم جدا أن يعرف كل المعرفة؛ لأننا لايمكن أن نعمم صحة الاحتجاج بكلام العرب دون التحديد سواء كان ذلك التحديد تحديدا زمانيا أو مكانيا.

وطبعا، أن عدم التحديد سيظهر مشكلة كبيرة أو الغموض في كلام العرب الذي يصح الاحتجاج به. وقد سبق البحث عن العرب حيث أنهم لم يكونوا في درجة واحدة من الفصاحة والسلامة.

وتمنى الباحث هنا زوال الغموض حول كلام العرب الذين صح الاحتجاج به، أو بعبارة أخرى نستطيع معرفة أية قبيلة وأيّ عصر صح الاحتجاج به. وذلك، بعد أن نعرف مناهج جمع المواد عند البصريين.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

1) الزمان الذي قُبل الاحتجاج بكلام العرب في دراسة النحو

كلام العرب شعراً ونثراً مصدرٌ من مصادر الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف بعد كتاب الله تعالى وحديث رسوله ومصطفاه ﷺ.

وقد سبق ذكر مصادر الدراسة النحوية وكان الكلام—خاصة الشعر—في الدرجة الأخيرة منها في صحة الاحتجاج به ولابد علينا أن نعرف أنه لايحتج بكلام العرب من جميع العصور بل احتجّ في استنباط القواعد النحوية في بعضها فحسب، من أقوالهم الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أم البادية؛[12] لأن اللغة تنمو شيئا فشيئا وتطور حينا بعد حين حتى تضعف فصاحة جيل واحد بعد جيل أخر، وسلامة عربيتهم كذلك. واستمر العلماء دونوا لغة البادية حتى فسدت سلائقة عربيتهم في القرن الرابع الهجري.

وقال الرافعي في كتابه آداب العرب: إن كلام العرب الذي اعتمد عليه البصريون محصور في طبقتين من الجاهلية والمخضرمين، ولا يعتمد على الشعراء الإسلاميين: ﴿وأشعار العرب الذين يحتج بهم محصورة في الطبقتين من الجاهليين والمخضرمين، أما الشعراء الإسلاميون كجرير والفرزدق، فأكثر النحاة على عدم جواز الاستشهاد بشعرهم﴾.[13]

---

[12] الأفغاني، في أصو النحو، 19.

[13] عبد العال سالم مكرم، في القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، (الكويت: مؤسسة علي جراح الصباح، الطبعة الثانية، 1978)، 95.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

2) القبائل التي اعتمدت عليها في دراسة النحو

وذكر الباحث فوقه الزمان المحتج به من كلام العرب عند البصريين، حيث أنهم لم يأخدوا عن كلام العرب استشهادا في استنباط القواعد النحوية إلا بعض العصور فحسب، ولم يأخذوا اللغة عن كل قبيلة كذلك. وذلك، رأت مدرسة البصرة أن القبائل لاتتساوى في الفصاحة. واعتمدت على كلام القبائل في قلب جزيرة العرب ولم تأخذ عن كلام القبائل التي على السواحل أو في جوار الأعاجم، وكذالك، قبيلة تأثرت لاتصالها بغيرها عن طريق الاختلاط أو الجوار وهذه القبائل يحترس من لغتها ولايؤخذ عنها. فلا يعتمد البصريون في استنباط قواعد النحو إلا على المحافظين على فصاحتهم وسلامة عربيتهم من اللحن. والقبائل التي اعتمد عليها البصريون عند عبد العال سالم مكرم هي قيس وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.

﴿والذين نقلت عنهم اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: قيس وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم﴾.[14]

[14] نفسه، 95.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

طبعا، اعتمد البصريون على الاحتجاج بكلام القبائل المذكور فوقه. ولم يذكر سالم مكرم قبيلة قريش صراحة من القبائل التي اعتمد عليها البصريون في استنباط القواعد النحوية. وعدم ذكر قبيلة قريش لاينفي قريشا من قبول الاحتجاج بكلامهم في مجال الدراسة النحوية؛ لأن المصادر القديمة لم تكن تسمي لغة قريش باسمها الصريح دوما، وغالبا ما كانت تنسبها إلى الإقليم الذي تسكن فيه، وقد تنسبها إلى منطقة أصغر من الإقليم، أو تنسبها إلى فرد من القبيلة.

وبالإضافة إلى ذلك، كانت لغة أهل الحجاز أشهر مصطلح يُدل به على لغة قريش في كتب التراث. ومن أمثلة ذلك، أن ثعلبا نسب الهدي بالتخفيف إلى أهل الحجاز وبالتشديد تميم. وقال أبو حيّان: إن التخفيف لغة قريش، فخصص ما عمم ثعلب.[15] وما إلى ذلك من الأمثلة التي تدل على ذلك وقد بحث مختار الغوث في كتابه لغة قريش تفصيلا.

علاوة إلى ذلك، أن قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموع، وقال: أبو نصر الفارابي: ﴿كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق﴾.[16] حتى أنزل القرآن الكريم بلغة قريش.

---

[15] مختار الغوث، لغة قريش، (الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة الأولى، 1997)، 19—20.

[16] نفسه، 96.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وقال ابن فارس: ﴿إن قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختار منهم محمدا ﷺ فجعل قريشا قطّان حرمه، وولاة بيته، فكان وفود العرب من حجازها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقتهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب﴾.[17]

ومع ذلك، عدم ذكر قريش لاينفي وقوعه في قبول الاحتجاج بكلامها الذي لايشك بفصاحة لغتهم ورقة ألسنتهم. أليس أحد من النحاة يختلف في أن القرآن أصل من أصول الاستشهاد في اللغة والنحو، وكان القرآن كمال أسلوبه ورقيّه. وهو منزل على نبيه بلغة قومه وهي لغة قريش.

3) **كمية كلام العرب قُبل الاحتجاج بها في دراسة النحو**

صعب تحديد تواتر رواية ما عن كلام العرب أو أية المصادر الدراسية التي قبل الاحتجاج بها لعدم علم خاص يدرس ذلك، كما كان في دراسة الحديث من علم مصطلح الحديث. وبالإضافة إلى

[17] في القرآن الكريم وأثره...، 98.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

صعوبة تحديد رواية ما الواصلة إلى حدّ التواتر حتى يمكن الاحتجاج بها.

وربما كانت طريقة معرفة كمية كلام العرب المحتج به هي بمعرفة القواعد العامة في الاحتجاج بالمسموع ما أدناه:-

أ- لا تشترط العدالة في العربي المروي عنه، وإنما تشترط في الراوي.[18]

ب- يقبل ما ينفرد به الفصيح لاحتمال أن يكون سمع لغة قديمة باد المتكلمون بها.[19]

إذا، إن كمية العرب المحتج بكلامهم لاتشترط فيها كثرة الراوي، كما تشترط ذلك في رواية الأحاديث المحتجة في المسائل الدينية.

ج- مناهج مدرسة البصرة في دراسة النحو

وكان رواد مدرسة البصرة الأوائل استخدموا المنهج المبسط حيث اعتمدوا على المنهج السماعي the traditional method في استنباط الأحكام النحوية وقواعدها، ولكنها اشتدت في اشتراط صحة اللغة المأخودة عن العرب، وإن لم تسمع عن العرب شيئا يمكن استنباط الحكم النحوي منه، فوضعت مدرسة البصرة الأقيسة على الكثير المطرد من كلام العرب المسموع. ومع ذلك، وقفت مدرسة البصرة على القرآن الكريم فقاست على

---

[18] الأفغاني، في أصول النحو، 63.

[19] نفسه.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

آياته ما أجازته من قواعد، وأجازت ما جاء في قراءاته المواترة، ولو كانت القراءة شاذة.

صحيح، أن مدرسة البصرة وقفت من القرآن الكريم موقف المدافع عما يرد في الكتاب العظيم فقاست على آياته ما أجازته من قواعد، ولكنها لم تعتمد على الأحاديث الشريفة في تكوين قاعدة النحو أو إثبات ظاهرة يؤخد بها ويقاس عليها مما خالف منه الوارد في كتاب الله وكلام العرب الفصحاء سواء كان الكلام نثرا أونظما.[20] وهذا، لجواز رواية الحديث بالمعنى حتى بعُد الحديث عن لسان الرسول ﷺ.

وينمو منهج مدرسة البصرة شيئا فشيئا الذي اعتمد روادها على السماع في العصر المبكر في تاريخ النحو، ثم بدأت مدرسة البصرة أن تستخدم على المنطق والعقل خاصة عند سيبويه وتجنبهم الرواية والنقل، فوجدنا أن كثيرا من المسائل النحوية حكموا أقيستهم وما يتبعها من تعليلات مع أن اللغة ظاهرة أجتماعية، بل هي حي ينمو في إطار من بيئته، يتفاعل معها ويتأثر بها.[21]

وبالإضافة إلى ذلك، يحتاج لنا أن نعرف مناهج مدرسة البصرة بالتفصيل في استنباط الحكم النحوي وإثبات قواعده. وأتحدث في هذا المبحث عن مجموعة من المناهج التي استخدمها رجال مدرسة البصرة:-

---

[20] الحديثي، المدارس النحوية، 75—77

[21] سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره...، 100—101.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

1- المنهج السماعي The Traditional Method

وقد وقعت البصرة موقعا استراتيجيا من الناحية الجغرافية والناحية البيئية العلمية. وأما الناحية الجغرافية فإنها وقعت قرب سوق المربد. وهو سوق من الأسواق القديمة في البصرة. ويبعد عن مدينة البصرة ثلاثة أميال تقريبا. وكان سوق عكاظ بالجاهلية مفخرة العرب من حيث الأدب والشعر وتبادل الأخبار والصلح بين القبائل وغير ذلك.

ثم جاء الإسلام واشتغل أهل الحجاز بأخبار الفتوح والفرائض فلم يكن هنالك من يستقبل الشعراء والأدباء في الحجاز. ثم حاول أهل الحجاز إزالة كل ما يتعلق بعصر الجاهلية وكان من أبرز ذلك العصر الجاهلي هو سوق عكاظ.

وغير ما ذكر فوقه، سهلت المسافة من البصرة إلى البادية المحافظين على فصاحتهم وسلامتهم التي هي من أهم المصادر في الاستشهاد في استنباط القواعد النحوية. وأما من الناحية البيئية العلمية ففيها علماء من أنواع المجالات العلمية، وقد سبق ذكر هذه في نظرة عامة عن البصرة.

وربما كان هذان الامتيازان الذان يسببان تقدم مدرسة البصرة في مجال النحو العربي. وخاصة قربها من المربد حتى يشجع رجال مدرسة البصرة أن يأتوا المربد لسماع العربية عن العرب يتكلمون بسليقتهم، وارتحلوا إلى البادية، كما قال الإمام الخليل حينما سأله الكسائي عن مصدر علمه:

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

﴿...من بوادي الحجاز ونجد وتهامة﴾[22]. فسمع الخليل-- ورجال مدرسة البصرة كذلك-- الأعراب والشعراء والخطباء والفصحاء، ثم جمعوا ما سمعوا عنهم ودرسوه وصنفوه حتى أن مدرسة البصرة استنتجت أن الكلام انقسم إلى قسمين وهما: فصيح[23] وأفصح.[24]

وكان السماع أصل من أصول القواعد النحوية حيث اعتمد رواد مدرسة البصرة عليه وعلى التعليل والقياس. والسماع عند الخليل يعني نبعين كبيرين نبع النقل عن القراء للذكر الحكيم وكان الخليل نفسه من قرائه وحماته، ونبع الأخذ عن أفواه العرب الخُلّص الذين يوثق بفصاحتهم.[25]

وكان كلام العرب المحتج به أساسا في وضع القواعد النحوية، فلا يضع تلميذ الخليل سيبويه قاعدة نحوية أو حكما نحويا إلايروي معهما سيلا من كلام العرب وأمثالهم وأبياتهم. وكان الخليل لا يلقي أي حكم نحوي إلا يلقي معه برهان من كلام العرب الموثوق به وأشعارهم؛ لأن الشواهد مدار القاعدة النحوية.[26] وكذلك، يجري سيبويه وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر في السماع. ونقلوا عن القراء والعرب الذين يوثق بفصاحتهم.[27]

---

[22] ابن يوسف القفطي، إنباه الرواة...، الجزء الثاني، 258.

[23] المراد بالكلام الفصيح منه ما هو شائع كثير ومنه ما هو ظواهره قليلة إذا قيس إلى الأصل والمسموع في اللغات نفسها. غير أن مدرسة البصرة قسم الكلام إلى: كلام أصلي وغير أصلي. والكلام الأصلي هو مكان استخدامه العرب شائعا لديهم حتى يمكن أن يقاس عليه. ومن هنا ظهر القياس في النحو بعد أن كان القياس منهجا دراسيا في الفقه فقط. انظر أحمد نجيب أفندي في كتابه *Madrasah Nahwu Basrah & Kufah*، 42.

[24] نفسه، ص. 42. وانظر أيضا، الحديثي، المدارس النحوية، ص. 75. وانظر أيضا، شوقي ضيف، المدارس النحوية، 46--47.

[25] شوقي ضيف، المدارس النحوية، 46.

[26] نفسه، 47.

[27] نفسه، 80.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ومن أمثلة القواعد النحوية المستنبطة بالاعتماد على السماع معنى حرف (من) الجارة، حيث خصصتها مدرسة البصرة بالمكان فحسب على حين أن ابن حيان يرى أنها لابتداء الغاية مطلقا زمنا ومكانا وغيرهما.[28]

2- المنهج الاستقرائي The Inductive Method

ولاينحصر منهج مدرسة البصرة على المنهج السماعي فوحسب بل اعتمد رجال مدرسة البصرة على المنهج الاستقرائي أيضا في ضبط القواعد النحوية. وهو المنهج الصحيح الذي يتسم بالتسامح ويبدأ من حيث يجب البدء من المفردات إلى الملاحظة الشاملة. وهو تعبير عما استقرئ وما يمكن أن يستقرأ.[29]

وكان أبو عمرو بن العلا ممن اعتمد على الاستقراء من المدرسة البصرية حيث اعتمد على وعي عميق للواقع اللغوي في عصره. وأن النصوص اللغوية التي يستقرئها عنده لايمكن أن تمثل لغة العرب كلها.[30] كما حكى أبو بكر عن أبي خليفة، قال: قال يونس بن حبيب: قال أبو عمرو بن العلا: ﴿ما أنهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير﴾.[31]

---

[28] سالم مكرم، مدرسة النحو ...، 332.

[29] محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، (القاهرة: عالم الكتب، 1989)، 99—100.

[30] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، الجزء الأول، 187.

[31] أبي الفتح عثمان بن جني،الخصائص، (مصر: المكتب العلمية، بجهول السنة)، الجزء الأول، 386.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ولاينحصر اعتماد أبي عمرو على وعي للواقع اللغوي فحسب، بل على وعي بالفروق اللغوية وتفاوتها في مناطق الجزيرة. وقرب استقراءه من الكمال:-

وفي بعض أخباره نحس أن استقراءه للغة قريب من الكمال، إن لم يكن كاملا. قال يونس: ﴿كان أبو عمر يقول في واحد (الهَدْي) هَدْية، تقديرها: جدية السرج، والجمع الجدي، مخفف. قال أو عمرو: ولاأعلم حرفا يشبهه﴾. وسواء استدركوا عليه مثال (جدية) أم لم يستدركوا فإن استقراء أبي عمرو فتح أبوابا واسعة أمام تلامذته وخالفه.﴾[32]

3- المنهج القياسي The Analogy Method

إن القياس الذي وضعه أبو الأسود ثم جرّده عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أصل من أصول الدراسة النحوية التي تبنى عليها القواعد ويزان بها الكلام. وقال الأنباري: ﴿اعلم أن إنكار القياس في النحو لايتحقق، لأن النحو كله قياس، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ولايعلم أحد من العلماء أنكره﴾.[33] وقد أهدى النحاة بالقياس كثيرا من الاستعمالات التي كان ينطق

---

[32] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، 188-189.

[33] الأنباري، في أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني، 299—300.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

بها العرب في نظير وضع قواعد النحو الكلية. واحترموها احتراما شديدا وخضع الناس لها.[34]

ومن البديهي أن قياس الحضرمي قياس الفطرة والطبيعية، وليس بقياس المنطق والجدل. و لم يتأثر بمنطق أرسطو؛ لأن العرب لم يعرفوه إذ ذاك، وتوفي الحضرمي سنة 117 هـ قبل أن يعرف العرب منطق أرسطو.[35] وجاء عهد أبي عمر ابن العلا اتخذ القياس شكل القياس الفقهي أو الكلامي. و لكن قال المخزومي إن القياس ظهر في عهد عيسى بن عمر الثقفي وعبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي. وكان أبو إسحاق الحضرمي أشد قياسا من غيره. وكان القياس أداة لصنع [قواعد] النحو، وأصلا من أصوله.

ثم نمت بذور القياس على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه المتميز سيبويه، وأكثرا القياس وتوسّعا فيه حتى وصل القياس إلى كمال النضج عندهما وقد اتضح ذلك في كتاب سيبويه. صحيح، يستطيع لقراء كتاب سيبويه أن يجد في أمثلة كثيرة للأقيسة المختلفة المتعددة، وكان الإمام الخليل غير نظرية القياس القديم بنظريته الجديد، وذلك باعتداد القياس بأحكام العقل، وانتهاج الخليل منهج مدرسة الكلامية، وإن لم يصطبغ بالصبغة الفلسفية. ومع كذلك، كان ظهوره والاستفادة منه إذانا بدخول الدراسة اللغوية في عهد جديد.[36] وعندئذ، يكون الخليل أهم أعلام مدرسة البصرة

---

[34] نفسه، الجزء الثاني، 300.

[35] مكرم، المدارس النحوية...، 254—255.

[36] المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، 1958)، 46—47.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

في القياس، وتلميذه سيبويه كذلك. وكان بداية اتجاه القياس إلى المنطق ليستمد منه أصوله التي أثرت في منهجه وقضاياه، وذلك حينما بدأت العلوم الأجنبية، ومنها: منطق أرسطو تزحف على الأمة العربية وتؤثر في ثقافتها.

ولابد أن يذكر هنا أن في القياس النحوي أركانا، ومن أهمها العلة؛ لأنها حلقة الوصول بين الأصل (المقيس) والفرع (المقيس عليه) بيد أن من أكثر العلل التي وردت في كتاب سيبويه هي علة الضرورة الشعرية. وأما بالنسبة إلى وظيفة القياس نفسه، فله ثلاث وظيفات: (1) استنباط القاعدة أو الحكام، (2) وتعليل ظاهرة (3) ورفض ظاهرة.[37]

ولكن كانت مدرسة البصرة تشددت في القياس حيث أن رجالها لم يقيسوا إلا على الكثير المسموع. فلذلك، أن مدرسة البصرة جمعت من أساليب اللغة قدرا كبيرا. ومن هذه الأساليب أن تتخذ قواعد النحو. ولم تسمح لأحد أن يحطم حواجزها ويغير من أسسها، ومن خرج عنها فكان كلامه خطأ وليس كلامه يجري على سنن الأساليب الفصيحة.[38]

ومن أمثلة القياس النحوي عند مدرسة البصرة رأي يونس أن انقلاب الألف في ﴿لبيك﴾ يقاس على انقلابها في ﴿عليك﴾؛ لأنه زعم أن ﴿لبيك﴾ اسم واحد وجاء على هذا اللفظ في الإضافة مثل ﴿عليك﴾.[39] ومثل الأخر قياس الإمام الخليل في ﴿قِعْدَك الله﴾ على ﴿نشْدِك الله﴾.[40]

---

[37] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، (سورية: جامعة تشرين، 1978)، 92.

[38] سالم مكرم، المدرسة النحوية... 256.

[39] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو.... الجزء الأول، 226—227.

[40] نفسه، 286—287.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

4- المنهج التأويلي The Interpretative Method

وهو لغة التدبير والتقدير والتفسير، وأما معناه المناسب في فن النحو-- نقلا عن قول محمد عيد-- فهو صرف الكلام عن ظاهرة إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير وتدبر، وأن النحاة قد أوّلوا الكلام وصرّفوه عن ظاهرة لكي يوافق قوانين النحو وأحكامه.[41]

وقد استخدمه رجال مدرسة البصرة في تكوين القواعد النحوية، وظهر جليا في معظم ما أوله يونس من ظواهر اللغة. وقد يكون التأويل ينعطف ليكون تفسيرا أوتوضيحا لظاهرة صحيحة في اللغة. ومثال ذلك:- سأل سيبويه الخليل عن إعراب ﴿ البائس﴾ في قول قائل: ﴿ مررت به البائسُ أو البائسِ﴾. وأجاز الخليل وجهين: أجاز الرفع على تقدير عامل يرفعه كالابتداء، والجر على البدل من الضمير.

وكان الخليل يقول: إن شئت رفعته من وجهين فقلت: مررت به البائسُ، كأنه لما قال مررت به قال: المسكينُ هو. كما يقول مبتدئا المسكينُ هو، والبائس هو، والبائسُ أنت. وإن شاء قال: مررت به المسكين هو، والبائس أنت، ,إن شاء قال: مررت به المسكينَ، كما قال: ﴿بنا تميما يُكْشف الضباب﴾... وفيه معنى الترحم، كما كان في قوله: رحمة الله عليه معنى رحمه الله.[42]

---

[41] محمد عيد، أصول النحو العربي...، 157.

[42] سيبويه، الكتاب، 75--76.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وأصبح التأويل أسلوبا منهجيا في دراسة ظواهر اللغة عند الخليل، ويرجع في أساسه إلى الروية اللغوية العامة عند نحاة العرب.

5- المنهج التعليلي The Explanatory Method

واتضح أن المنهج التعليلي the explanatory method دعامة المنهج القياسي the analogy method. ونشأة القياس أول ما نشأ فطريا وتبعت نشأة العلة له كذلك. وأما أول من علل النحو فهو الحضرمي-[43] واستقرت وأتت أكلها على يد الخليل وسيبويه. واعتمد الخليل كل الاعتماد على التعليل حينما وضع القواعد النحوية التي سجلها تلميذه سيبويه في الكتاب الشهير بكتاب سيبويه بعده. وإذا، وجدنا الكثير من التعليلات النحوية في كتاب سيبويه، ويمكن أن يقال أن كتاب سيبويه كتاب علل، وجميع العلل التي أوردها النحاة بعده كان مصدرها الأول كتاب سيبويه.

وعلى أية حال، أن مدرسة البصرة اعتمدت في تأصيلها لقواعد النحو وإقامة بنيانها على منهجي السماع والقياس ولكن منهج مدرسة البصرة لاينحصر عليهما فقط، بل اعتمدت أيضا على التعليل النحوي.

وكان استخدام هذا المنهج في دراسة النحو العربي متأثرا بـــمنهج الفقه الإسلامي—ولاسيما عند حماد بن سليمان—الذي سبق نشأته بالنسبة على

---

[43] أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن أبي سعيد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، (الزرقاء: مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، 1985)، 27.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

نشأة النحو العربي وظن بعض المؤرخين أن التعليل النحوي متأثر أيضا بمنطق أرسطو Aristoteles،

ولما اختلطت الثقافة الأجنبية بالثقافة العربية، وترجم منطق أرسطو تأثر النحاة بمبدأ العلّية الذي كثيرا ما كان يعتمد عليه أرسطو، وحاولوا لكل حكم علة، ولكل قاعدة علة ولا عجب فإن هذه النظرة إلى العلة وإقحامها في كل ضرب من ضروب الكلام وفي كل اسلوب من أسلوب العربية جدير بأن ينوّع العلل عندهم ويجعلها كثيرة الأقسام متعددة الفروع.[44]

وقال عبد العال سالم مكرم: إن الدليل على وجود تأثير العلل الأصولية في العلل النحوية،لايخرجها عن تأثرها بمنطق أرسطو؛ فإن الأصول استمدت مقاييسها وانتزعت عللها من منطق أرسطو؛ لأن العقل كان يلعب دورا كبيرا في استخدام هذه المقاييس واستعمال هذه العلل.[45]

والتعليل أشد إيغالا في استخدام الرأي والاجتهاد في مناهج الدراسة. وأما الدليل على تأثر المنهج التعليلي النحوي من من المنهج التعليلي في الدراسة الفقهية، فقد اتضح ذلك منذ عهد الحضرمي حيث أنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل في الدراسة النحوية العربية. وكان هذان المنهجان

---

[44] عبد العال سالم مكرم، المدارس النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، (الكويت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1990)، 263.

[45] نفسه، 264.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

منهجي الفقه الإسلامي الذي سبق استخدامهما في استنباط حكم الفقه الإسلامي قبل أن تستخدمهما مدرسة البصرة.

وقد يجتمع القياس والعلة في قرَن واحد، وتبين ذلك في بعض وظائف القياس وخاصة عند تعليل ظاهرة، كما تبين أن بعض أقيسة القياس تقوم على واعية في فهم أنظمة اللغة وأبنيتها التعبيرية وأساليبها العامة وهذا، أن القياس عند يونس كثير ما يحتوي العلة النحوية، فتظهر فيه وتبدو منه يصعب فصلها عنه.[46]

ولكن كان القياس والعلة في بعض المواضع القليلة تتجرد العلة من القياس وتبدو خالصة من آثاره. مثلا في تأويل ما أدناه:-

وأما قولهم: مررت بغيرك مثلِك وبغيرك خيرٍ منك، فهو بمنزلة مررت برجل [غيرك] خير منك؛ لأن غيرك ومثلك وأخواتها يكنّ نكرة ومَن جعلها معرفة قال: مررت بمثلك خيرا منك، [وإن شاء خيرٍ منك على البدل]. وهذا قول يونس والخليل رحمهما الله.

واعلم أنه لايحسن ما يحسن بعبد الله مثلك على هذا الحد. ألاترى أنه لايجوز ما يحسن بزيد خير منك؛ لأنه بمنزلة كل الرجل في هذا. فإن قلت: مثلك وأنت تريد أن تجعله المعروف بشبهه جاز، وصار بمنزلة أخيك، ولايجوز في خير منك؛ لأنه نكرة فلاتثبت به المعرفة، و لم يرد في

---

[46] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، الجزء الأول، 230.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

قوله ما يحسن بالرجل خيرٍ منك، أن يُثبت له شيئا بعينه ثم يعرّفه به إذا خاف التباس.

واعلم أن المنصوب والمرفوع يجري معرفتهما ونكرتهما في جميع الأشياء كالمجرور.[47]

وفي المثل أعلاه، أن العلة تتجرد من القياس، ويمكن أن تؤول عبارة: مررت برجل غيرك، فقولهم: غيرك مضاف إلى معرفة، ويجب ان يكتسب منها التعريف، فلا تصف فيه النكرات ومع ذلك رأينا صفة للنكرة في العبارة المسوقة، فعلة ذلك، كما رأى يونس: إن غيرك ومثلك وأخواتهما يكن نكرات ولو أضيفت إلى معرفة ولذلك صح أن تصف النكرة.[48]

وما ذكره الباحث فوقه من مناهج مدرسة البصرة في دراسة النحو العربي في استنباط قواعد النحو. وصح أن يقدم الباحث الملاحظة: أن المناهج الدراسية التي استخدمتها مدرسة البصرة في دراسة النحو العربي من عملية استنباط القواعد النحوية تنمو شيئا فشيئا وتطور حينا بعد حين حتى أصبحت مناهج مدرسة البصرة تأثر بمناهج الدراسة الفقهية، ثم بالفكرة الخارجية خاصة بمنطق أرسطو بعد أن كانت مجرد فكرة العرب و لم تتأثر بأي منهج دراسي في بداية ظهورها.

---

[47] سيبويه، الكتاب، الجزء الثاني، 13-14.

[48] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، الجزء الأول، 230.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id